

شعر الطبيعة بين عبد العال القدرة ووليام وردزورث (دراسة مقارنة)

د/ رياض أبو زنـــاد(*)

مقدمة

إن للطبيعة في نفس الشاعر الأصيل مكان أثير وفي أدب الأمة الراقية منزلة رفيعة ، وقد حظيت الطبيعة لدى أدباء الأمم العظيمة بتلك المكانة الرفيعة ، بل ان من كبار الشعراء من يدينون بخلودهم لأوصاف الطبيعة ، ولا غرابة في ذلك ولا عجب ؛ فالطبيعة -بلا شك- هي مادة الشعر الأولى.

وقد نالت الطبيعة حظاً وافراً في الأدب الإنجليزي في مختلف عصوره؛ فقد بث الأدباء الإنجليز أوصاف الطبيعة في رواياتهم الشعرية وفي قصصهم النثرية واتخذوا أجنحة الخيال إلى الغابات الساحرة البعيدة والشواطئ الآسرة النائية . وقبل ذلك كله ، فقد نالت الطبيعة لدى الشعراء الإنجليز ؛ المكانة التي تستحقها وترضاها .

وإذا ما التفتنا إلى الأدب العربي ، فإننا نَستطيع القول بأن الطبيعة لم تنل هذه العناية ولم تحتل هذه المكانة . " في العربية لا ريب أوصاف طبيعية بالغة غاية الجودة ، ولكنها قليلة إذا ما قيست بنظائرها في الإنجليزية ، قليلة إذا ما قيست بما نظم أو نثر في العربية ذاتها في غير

(*) أستاذ الأدب الإنجليزي بقسم اللغة الإنجليزية - (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) - جامعة الأقصى - غـزة - فلسطين

الطبيعة من أغراض ؛ فليس ما قيل في وصف جمال الطبيعة ببالغ عشــر معشار ما قيل في التشبيب بالجمال الإنساني ، ولم يُعـرف مــن شــعراء العربية من قَصَرَ شعره على التغني بمباهج الطبيعة ، وإنَّ منهم لمن قَصَرَ قوله على النسيب بهند وليلى وأترابهما " (١) .

ومن الندرة بمكان _ في الأدب العربي _ أن يجـيء وصــف الطبيعــة مقصوداً لذاته أو أن تجيء أوصاف الطبيعة مستقلة بذاتها ؛ بل كــان ذكرهـــا _ في معظم الأحيان _ يأتي عرضاً كأن مظاهرها ما كانت إلاّ لبيان أغــراض أخرى عن طريق التشبيه ترصع القصيدة بفنونه . وقــد عُــرف عــن فحــول الشعراء أنهم كانوا ينصرفون عن وصف الطبيعة ومحاسنها إلى وصف قصور الأمراء وما ينعطف عليها من حدائق ونوافير ومقاصير وبرك اصطناعية .

وللأدب الأندلسي شهرة بوصف محاسن الطبيعة تمثلت في بعض أشعار ابن حمديس وابن خفاجة وابن المعتز ؛ وعلى الرغم من تلك الشــهرة فــإن معظم أشعار هؤلاء الشعراء يصطبغ بالصنعة وتهيمن عليــه ظــلال مــن التظرف والتكلف ، وهو فوق ذلك يتسم بالضحالة والفتور ، وتنقصه حرارة الهيام بالطبيعة والامتزاج بروحها والنفاذ إلى خفيِّ معانيها وأسرارها " فليس بمشغوف بالطبيعة ولا فاهم لأسرارها من لا تكفيه مفاتنهــا الســافرة حتــى يستعين لإكمال سروره بالسمر والغزل والغناء والسكر ، وان أحب ما تكون الطبيعة إلى عاشقها الصادق لحين يصحبها وحيداً ، فهو يرى مفاتنها خيــر رفقة له وخير مؤانس لمهجته . وقد حظي الربيع دون غيره مــن الفصــول بالتفات شعراء العربية ، كأنَّ الربيع وحده هــو فصــل الجمــال والصــفاء والحبور ؛ وبقية الفصول أوان لكسب الرزق واحتمال قبيح الحياة " (٢) .

وعلى أي حال فقد مثَّل " شعر الطبيعة العربي " _ على قِلَّته _ الطبيعةَ بحيوانها وطيورها وغاباتها وحقولها ، وبدا فيه الحب للحياة الريفية ، ولكنه لم يصدر في الجملة عن الملاحظة الذاتية والشعور بل عن التقليد والتخيل (٣) .

وعلى الجملة ؛ فقد " وصف الشاعر العربي منذ القديم الطبيعة وأحبها ولم تكن غريبة عنه ، ولكنها لم تتميز حينذاك كفن شعري قائم بذاته (......) ولما انتقل العرب من البداوة إلى الحضارة وعرفوا نعيم الحياة وترف القصور وجمال الرياض ، تطور شعر الطبيعة ، ولكنه لم يستطع أيضا أن يستقل كفن خاص وبقي هو والوصف ممزوجاً بأغراض أخرى كالغزل والمدح والطرد والخمر " (٤) .

نال " شعر الطبيعة " لدى أدباء الإنجليزية _ في مختلف العصور _ مكانة رفيعة ، وقد نال شعر الطبيعة ذاته في أدب كل أمّة متحضرة منزلة راقية ، ولا عجب في ذلك ؛ فالطبيعة إلف الشاعر الأصيل ومرتع فكره ، ومتاع بصره ، ومهبط وحيه ، بين أحضانها تتهادى عذارى الشعر طائعة ، وتسلم إليه شوارد الأفكار مقادها .

ولكنّ شعر الطبيعة لم ينل هذه المكانة في الأدب العربي على مر العصور . وقلما جاء هذا الشعر مقصوداً لذاته مستقلاً بنفسه في قصيدة من القصائد ؛ بل كان ذكر الطبيعة غالباً ما يأتي عرضاً ، كأنها غير جديرة بالتفات الشعراء .

يتناول هذا البحث " شعر الطبيعة " والرومانسية بين الشاعر العربي عبد العال القدرة والشاعر الإنجليزي ويليام وردزورث ، ونظرة كل منهما إلى الطبيعة وكرمها وحنوها بالمقارنة مع بخل الإنسان وقسوته على أخيه الإنسان ؛ وشغف كل منهما بالطبيعة وأمومتها وقوتها ومؤثراتها الناطقة بالحكمة ، ونواحي التشابه والاختلاف بين الشاعرين .

عبد العال القدرة

رأى النور بمدينة خانيونس الفلسطينية في الثاني عشر مــن ديســمبر ١٩٤٨ . تلقى تعليمه في مراحله الأولى بخانيونس ، سافر بعدها إلى بيروت والتحق بجامعتها العربية عام ١٩٦٩ حيث حصل على الليسانس في اللغــة العربية وآدابها عام ١٩٧٢ . توجّه بعد ذلك إلى ليبيا وعمل مدرساً بمدارسها طيلة خمس سنوات ، سافر بعدها إلى فرنسا عام ١٩٧٧ لمتابعة الدراسة فيها بجامعة بروفانس .

حصل على الماجستير من جامعة بروفانس عام ١٩٨٠ . كما حصــل على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن من القسم الفرنسي بالجامعة ذاتهــا عام ١٩٨٣ ؛ وكان عنوان أطروحته : تأثير جان جاك روسو علــى الأدب المصري الحديث . سافر بعدها إلى الجزائر عام ١٩٨٤ وعمل بها مدة أربع سنوات . ترك الجزائر إلى المانيا عام ١٩٨٨ ومكث بها ما يزيد على ثلاث سنوات ؛ عمل خلالها على تدريس اللغة الفرنسية في مدارســها الخاصــة ، تركها بعد ذلك إلى ليبيا ، حيث عمل بجامعة سبها لمدة عامين استقال بعدها ليعود _من جديد_ إلــى فرنسا ؛ حيث مكث بها مدة عامين ، عاد بعدها إلى أرض الوطن ؛ بعد اغتراب دام ثمانية وعشرين عاماً (نصفها فــي الــبلاد العربية ونصفها في أوروبا الغربية) حيث عاش في مصر والأردن وسوريا ولبنان وليبيا وتونس والجزائر وانجلترا وفرنسا وايطاليا وسويسرا والمانيــا واسبانيا وبلجيكا ولكسمبورغ ومالطا . أصدر ست روايات وستة وعشــرين ديواناً شعرياً ؛ معظمها صَدَرَ ووزِّع في غزة ولم يُتَحْ لهذا الإنتاج الغزيــر

الوصول إلى البلدان العربية ، وذلك بسبب ما كان من حصار شديد على قطاع غزة أثناء وقبل الانتفاضات الفلسطينية المتكررة .

عمل _ فور عودته من المهجر _ بجامعة الأقصى عام ١٩٩٥ ولا زال محاضراً بها إلى الآن . أصدر العديد من الكتب والأبحاث العلمية إضافة إلى ستة وعشرين ديواناً شعرياً وست روايات أدبية (٥) .

ويليام وردزورث

هو شاعر من شعراء الطبيعة والرومانسية العظام ، يفتخر به الأدب الإنجليزي أيّما افتخار . ولد ويليام في اليوم السابع من شهر أبريل سنة ١٧٧٠ بمحلة " ككرماوث " من مقاطعة " كمبرلاند " ، وتلقى دروسه الابتدائية في إحدى مدارس " باينرت " ، بعدها انتقل إلى إحدى مدارس " هوكشيد " الإعدادية وبقي فيها حتى السادسة عشرة من عمره ، ويذكر مؤرخو الأدب الإنجليزي أن السنوات التي قضاها في هوكشيد كانت من أهم سني حياته ، وقد أظهر ويليام منزلة تلك السنوات على صفحات الكتاب الأول من قصيدته الملحمية " المقدمة " ؛ حتى كانت المقدمة عبارة عن قصيدة من قصائد " السيرة الذاتية " _ إذا صح التعبير .

وحينما توفي والده " جون " عام ١٧٨٣م ، وجد ويليام نفسه مضطراً إلى العيش في كنف أعمامه ، وحين أنهى تعليمه المدرسي قام أعمامه بإرساله إلى كلية " سان جون " التابعة لجامعة " كامبردج " عام ١٧٨٧م حيث عمل على الحصول على " البكالوريوس " وتمَّ له ذلك عام ١٧٩١م . سافر بعدها إلى فرنسا وفيها اتسعت آفاقه ونمت أفكاره ؛ وتبلورت

وتطورت ، وقد تمثل ذلك التطور في تعاطفه تجاه " الثورة الفرنسية " وتأييده القوي لها ، لأنه رأى فيها كل معنى من معـــاني التحـــرر . نشـــر ويليـــام وردزورث العديد من القصائد أجودهـــا : " روث " و " المقـــدمـــــة " و " قصائد لوسي " و " قصائد في جزأين " إضافة إلى العديد من القصائد التـــي قام بنشرها في ذلك الوقت .

وفي الوقت الذي ارتد فيه كثير من مثقفي أوروبا الذين أيّـــدوا الثـــورة الفرنسية ؛ ارتد ويليام وردزورث الذي كان يدافع عن ثورة التغيير ، وكـــان من نتيجة ذلك أن انتقل إلى جانب المحافظين وعاش في كنفه بقية عمره إلى أن وافاه الأجل في الثالث والعشرين من شهر أبريل سنة ١٨٥٠م (٦) .

قبل أن نبدأ

لا يكاد الإنسان يجد شاعراً كبيراً يخفي امتزاجه بالطبيعة وتعلقـــه بهـــا وحبه الكبير لها ، ولا نكاد نجد شاعراً عظيماً لا يدمن التأمل فـــي محاســـن الطبيعة أو لا يحاول النفاذ إلى معانيها ؛ سواء كان ذلك الشاعر هـــو ابـــن الرومي الشاعر العبَّاسي المبدع أم كان ويليام وردزورث ســـيد الرومانســـية الإنجليزية أم كـــان عبد العال القدرة الشاعر العربي المعاصر الذي بلغ بـــه الشغف بالطبيعة أن جعل لها مكان الصدارة في أشعاره وأن أنزلهـــا منزلـــة رفيعة سامية .

والمعروف أن الشعراء الرومانسيين يتشابهون إلى حد بعيد في مواقفهم وفي أشعارهم وفي نظرتهم إلى الطبيعة وفي غلبة الكآبة على أشعارهم وعلى خيالاتهم كما يتشابهون في صورهم وعباراتهم الشعرية وفي نظـــرتهم إلـــى

الطبيعة بوجه عام . ولقد تأثر عبد العال القدرة بالرومانسية الغربية بطريقة مباشرة ؛ حيث عاش في أوروبا الغربية مدة أربعة عشر عاماً ؛ عاش خلالها البيئات الإنجليزية والفرنسية والسويسرية والألمانية وهو يعتبر بحق أفضل شعراء الرومانسية والطبيعة العرب القدماء والمعاصرين على حدٍ سواء ؛ كما دلت على ذلك آثاره الرائعة في هذا المجال . لقد كان عبد العال القدرة شاعراً رومانسياً كبيراً ؛ وقد تجلَّت رومانسيته فيما كَتَبَهُ من " شعر الطبيعة " وفي اندماج روحه بالطبيعة ذاتها ، وفي خيالاته الخصبة المجنحة وفي ألمه وفي عبارته وعاطفته ، وكذلك في حبه وأحزانه .

وفي المقابل كان وردزورث شاعراً رومانسياً فذاً ، لقد امتزجت روحه بالطبيعة امتزاجاً كاملاً ، حيث تجلت رومانسية هذا الشاعر في خيالاته وفي عباراته ، كما تجلت في نزعته العاطفية وفي حبه وآلامه وأحزانه . فكان لديه ذلك الفيض الكبير من " شعر الطبيعة " الذي يتجلّى فيه الإبداع وتتجلّى فيه الرّوعة في آن واحد .

* * * * *

شعر الطبيعة والرومانسية عند القدرة ووردزورث

تناول شعر الطبيعة عند العرب _ كما تناول عند الغربيين _ الطبيعة بشقّيها الحي والصامت ، والمقصود بالطبيعة الحية ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان ، وبالطبيعة الصامتة مظاهرها ووجودها المتجسّد في شمسها وحقولها وحدائقها وسهولها وجبالها وبحارها وسمائها ونجومها وبواديها ، وما إلى ذلك . وليس من صميم الطبيعة ، كفنّ شعري ، أن ندمج فيها وصف الجمل والذئب والأسد وما انعطف عليها ؛ لأن هذا أقرب إلى فن الوصف منه إلى شعر الطبيعة .

لقد جاءنا " شعر الطبيعة " من الآداب الغربية ؛ كتعبير جديد يدخل إلى أدبنا العربي ، وكان له في الآداب الغربية أصوله وشعراؤه . وقد أطلقه النقاد الغربيون على الشعر الذي كان من أهم مظاهر الحركة الإبداعية الرومانسية في نهايات القرن الثامن عشر ، حيث وجد هؤلاء الشعراء الإبداعيون في الطبيعة ميداناً فسيحاً لحرية العمل ، وتربة صالحة لنمو العواطف الإنسانية . وقد كانت الطبيعة _ كما رآها الرومانسيون _ صديقة وفيّة يحبونها لما تمنحه من جمال للحسّ وهدوء للنفس وانطلاق للوجدان ، مما يشجعهم على الاستسلام إليها والبوح لها بالآلام والعواطف ، وكثيراً ما كانت الطبيعة ملجأ لنفوسهم القلقة التائهة ، ومن اجل ذلك فقد فروا إلى أحضانها ؛ على أمل الحصول على نعيم السعادة وطهارة الروح بين ظهرانيها .

والرومانسية حالة نفسية أكثر منها مذهباً فنياً ، وهي تتدفق في إبداعات الشاعر فكراً متشائماً، ولحناً حزيناً ؛ على أثر المرارة التي تعقب الأزمات والمحن ؛ التي يمرُّ بها ذلك الشاعر المبدع .

ويتشابه الشعراء الرومانسيون الكبار في مواقفهم الشعرية من الطبيعة ، ولا نكاد نعثر على شاعر من هؤلاء ؛ يخفي امتزاجه بالطبيعة ، وحبه الكبير لها ، وتعلقه بها ؛ كأنّي به يقول :

إن كل ما في حياتنا من ألم أيّاً كان مصدره ؛ لن يستطيع أن يدفعنا لليأس أو الكفر بكل تلك النعم التي نراها أمامنا ماثلةً في الطبيعة .

إن الطبيعة عند الشاعر عبد العال القدرة هي مصدر للعطاء والإلهام بكل كرمٍ وسخاء وكأنها تقدم المثال والنموذج لكل حالة نفسية ولكل عاطفة إنسانية .

هذه أبيات للشاعر العربي تحت عنوان " أزهار الربيع " (٧) ، قالها وهو يتجول بين السهول والمروج ؛ يقول عبد العال القدرة :

بها يبدو الضياءُ إذا تشاهدها ... لِمُخْتَلَفٍ من الألوان يهديها
تظل الزهرةُ البيضاء من سِحْرٍ ... تمرُّ على عيون الناسِ تُغْنيها
وهذي الزهرة البيضاء من شغفٍ ... تناجي الكونَ والدنيا تناجيها
بها الأسرارُ لو تَعلَم سرائرها ... مَلَكْتَ الكونَ والدنيا وما فيها
تميد مع النسائمِ إذ تداعبها ... فتنتشيَ النسائمُ من تثنيها
وتبعث شدوها في الجوّ راضية ... فيغدو الجوُّ ثَمْلاً من أغانيها
وتنشر حُبَّها للكون يبعثُهُ ... هوىً بالزهرة البيضاء يضنيها
إذا جاء الربيعُ ذَكَرْتُهَا طوْعاً ... وأغبط دائماً أبداً محبيها

ثم يضيف الشاعر قائلاً :

نسيتُ بقربها الأحزان من جَـذَلٍ نكرت نعـائم الـدنيا لأهليهـا
إذا الإنسان رَقّت مِنْـهُ عاطفـةٌ وذوقٌ صارَ يعشـقها ويـدنيها

كل هذه الألوان الرائعة المكسوّة بالضياء وبالأسرار ، وهذه الخيـالات الخصبة الجميلة المفعمة بالصور الموحية وبالأحاسيس النبيلـة الصـادقة ، الصادرة عن الشاعر العربي عبد العال القدرة من جرّاء اندماجه بالطبيعة ، وإحساسه العميق بها وحبّه لها ، نجد فيها ما يـذكرنا بهـا عنـد الشـاعر الإنجليزي ويليام وردزورث في واحدة من أجمل قصائده وهـي بعنـوان " زهـور النرجس " (٨) ؛ حيث يقول الشاعر :

كنت أتجول منفرداً مثل سحابة في الجو
تُظلل السهول
وفجأة بدت لي زمرة من زهور النرجس
على ضفاف بحيرة امتلأت جنباتها بالأشجار
كانت تهتز راقصة حيث داعبها الهواء
ترتصّ صفوفاً كجيش عرمرم من النجوم لا نهاية له
تتلألأ كالنجوم على طريقي البيضاء
إلى جانب البحيرة ، وفي لمحة بصر ؛
ظهرت لي عشرة آلاف مرة واحدة ...
رقصت مترنمة ... رقصتها الرشيقة !!
وقد رقصت الأمواج بجانبها ...
ولكن رقصتها كانت أجمل وأروع ...

في جوٍّ هذا الوسط الراقص ... لا بد لشاعر مثلي ...
أن تستولي عليه النشوة ويستسلم للطرب !!
استغرقت في التأمل دون أن أصل إلى مدى ما
بسبب ما أضفاه ذلك المشهد على نفسي ...

ويمضي وردزورث قائلاً :

وأريد أن أقول
أنني كثيراً ما كان يُخيّل إليَّ وأنا مستلق
في فراشي عند استرخاء الفكر وانشغال الخيال
هذا المشهد السَّاحر ...
فيعزف في عالم الخيال ... موسيقى الوحدة
عندئذ يمتلئ قلبي سروراً ويرقص طرباً ...
مع رقصات أزهار النرجس !!
كل ما في حياتنا من ألم أيّا كان مصدره
لن يستطيع أن يدفعنا إلى الاستسلام أو إلى
الكفر بكل تلك النعم والبركات التي نراها !!

وبعد ذلك ، فإن " عبد العال القدرة " و " ويليام وردزورث " يتَّحدان في " الرؤية " من جهة أن بين الطبيعة والإنسان فرقاً شاسعاً ؛ فالطبيعة بشوشة كريمة والإنسان حقود بخيل ، وهي تنطوي على الحنان ، وهو ينطوي على القسوة بكل أشكالها . يقول الشاعر العربي عبد العال القدرة في قصيدة له بعنوان " سحر الطبيعة " (٩) :

إذا ســـرتَ تصـــبح أنـــت الطليـــق
وأنـــت المكـــرَّم بـــين البَشَـــرْ
جيـــوش الجمـــال أمـــام العيـــونِ
وتنتظـــر الأمـــرَ منـــكَ فَمُـــرْ !!
جمـــال الطبيعـــةِ ســـحرُ الوجـــودِ
ومعنـــى الحيـــاة وبـــدع القَـــدَرْ
إذا مـــا نظـــرتَ إليـــه انبهـــرت
ومـــن ســـار بـــين الجمـــال انبهَـــرْ
إذا ســـرتَ فـــي مهرجـــان الجمـــال
وَعُـــذِّبتَ بالســـحرِ دون حَـــذَرْ
فـــذاكَ لأنَّ الوجـــود صـــغيرٌ
إلـــى جانـــب السِّـــحر عـــاليْ الأثـــرْ
وذاك لأنَّ الوجـــــود فقيـــــرٌ
" بلا رحمةِ الأُمِ " .... دون خَطَـــر !!
فضـــمَّ الجمـــالَ إذا مـــا اســـتعطتَ
ففيـــهِ شـــفاؤك مـــن كـــل شَـــرّْ
وصـــادِقَ ســـحراً ســـما بـــالوجودِ
تُحـــب الحيـــاةَ تُحـــب البشـــرْ
وتقـــرأ مـــن مُبْـــدَعَات الحيـــاةِ
سطوراً كأجمـــل مـــا فـــي العُمُـــرْ !!
فبـــالخيرِ والجـــودِ تلقـــاكَ دومـــاً

وللنـــاس حقـــد قـــوي الأَثَـــرْ
جمـــال الطبيعـــة ســـحر الوجـــود
ومعنـــى الحيـــاةِ وبـــدع القَـــدَر

وفي قصيدة ثانية له بعنوان " الطبيعة أُمنا " (١٠) ؛ يـدعونا الشـاعر للتواصل مع الطبيعة وإلى اجتلاء جمالها وجلالها وروعتها ، حيـث نـودّع الآلام والأحزان . إنّه يدعونا للذهاب إلى الطبيعة ؛ في كل وقت وفـي كـل الفصول ؛ يقول الشاعر :

هَلاَّ ذهبْتَ إلى الطبيعـة .... تجتلـي
سِرَّ الخلائـق تجتلـي سـرّ الوجـودْ
وتـــودّع الآلام والأحـــزان فـــي
بحرٍ مـن الأسـرارِ ذي غَـوْرٍ بعيـدْ
إنَّ الطبيعـــةَ أُمُّنـــا وجمالُهـــا
يمحو التوهُّمَ والهواجسَ فـي الوريـد
إن الطبيعـــة أُمنـــا وحنانُهـــا
يُشجي القلـوبَ وَحُبُّهـا دومـاً يزيـدْ
إن كُنتَ تقرأُ فـي صـحائفِ وجههـا
تجـد السَّـماحة والوداعـة والـورودْ
إنّـــي أُحـــبُّ هـــدوئها وظلالهـــا
وأحب منها البرقَ أو قصـف الرعـودْ

اقـرأ كتـاب الكـون فـي أحضـانها
تُعطيـك كـل صـحيفة منـه الجديـدْ

ويقول في غير موضع (١١) ؛ مبيناً ذلك الفرق الشاسع بـين الطبيعـة والإنسان ؛ الطبيعة ببشاشتها وكرمها والإنسان ببخله وحقده ؛ يقول الشاعر :

إذا يبـدع الإنـسُ صُـنْعَ الظـلام
فَقَـدْ أبْـدَعَتْ شَـمسَ كـل زَمَـنْ
وإن يبـدع الإنـسُ ظُلمـاً فظلمـاً
فـإن العدالـةَ فيهـا سُـنَنْ
بهـا مرتـعٌ للجمـالِ عظـيمٌ
فـأنّى ذَهَبْـتَ بهـا تُفْتَـتَنْ
نقيصَـةُ إنسـاننا فـي الوجـود :
إجـادة حقـدٍ قـويّ الفـتَنْ

ونجد تلك المعاني ذاتها في أشعار ويليام وردزورث ؛ إذ نرى تـذمراً واضحاً في إحدى قصائده من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان بسبب ما ينطـوي عليه قلب ذلك الإنسان من قسوة وحقد وما يفتقر إليه من كرم تجاه أخيه في هذا العالم ؛ وقد وصل به التذمر من ذلك إلى حد الشكوى . هذا في الوقـت الذي يصور فيه لقطات من جمالات الطبيعة يصور مـن خلالهـا خطتّهـا المباركة ؛ يقول الشاعر في قصيدة بعنوان " أنشودة إلى الطبيعة " (١٢) :

إن العصافير تمرح من حولي وتقفز ...
ولست استطيع قراءة أفكارها ...
في حين أن كل حركة تقوم بها ...
تبدو رعشة طربٍ ورضى ...
وحتى الأغصان المليئة بالنوّار تفرد مروحتها ...
لتعانق الهواء العليل ... بحبور وبهجة
وإني لعلى ثقة من أنها تنشرح إلى حد بعيد
بكل هذا الذي تصنعه ... مثلما تشتهي

ويضيف الشاعر :

فإذا كان ذلك اليقين مبعوثاً من السماء ...
وإذا كانت تلك هي خطة الطبيعة المباركة ...
أفلا تحق لي الشكوى ....
مما يصنعه الإنسان لأخيه الإنسان ؟ (١٣)

وبعد ذلك ؛ فإننا نجد أن للطبيعة في شعر عبد العال القدرة مكانة عظيمة ؛ حيث امتزج الشاعر بالطبيعة امتزاجاً تاماً وهام بها هياماً كبيراً ، ووصفها في جميع أحوالها ، وأحب الصيف كما أحب الخريف والشتاء والربيع ؛ حبّاً وصل به إلى حدود العشق والتصوف ، ومنحها ثقته غير المحدودة ؛ فاخذ يبحث فيها عن أسرار الوجود ، وينهل من حكمتها بكل ثقة واطمئنان ؛ حتى استطاع أن ينفذ إلى خفي معانيها وأسرارها . هذا وسيكون لشعر الطبيعة في قصة خلود الشاعر العربي عبد العال القدرة نصيب كبير ؛

فَلَهُ في شعر الطبيعة الكثير ... الكثير ؛ تَضَمَّنَ ديـوانــه " كتاب البحـر " خمساً وعشرين قصيدة ، كما احتوى ديوانه " كتاب الطبيعة " علـى خمـس وعشرين قصيدة ، وله ديوان ثالث في وصف الطبيعة تحت عنوان " ربـة السحـر " ، ورابع تحت عنوان " كتاب الكون " ، وتوزعت باقي القصـائد في هذا الباب على دواوينه المختلفة (١٤) . وقد مثَّـل بذلك ظاهرةً نادرةً في الأدب العربي على مر العصور . فبالنسبة للشعراء العرب _ من أي عصرٍ كانوا باستثناء ابن الرومي _ لم تكن محاسن الطبيعة عندهم مقصودة لـذاتها مستقلة بنفسها ، بل كان ذكرها غالباً ما يأتي عرضاً ، كأنها غيـر جـديرة وحدها بالتفات الشعراء وتكلفهم عناء النظم ، وكانـت تسـتعار مظاهرهـا المختلفة لبيان أغراض أخرى ، مع أنهـا أحقّ بالصدارة وأجدر .

وفي المقابل ؛ فقد نالت الطبيعة عند ويليام وردزورث _ كما رأينـا _ تلك المكانة التي تستحقها ؛ فعكف على وصف مظاهرها وتجسيد مفاتنهـا ، ومـلأ _ فوق ذلك _ جانباً كبيراً من نظمه بأوصـاف الوديـان اليانعـة ، والربى الخضراء والمياه الجارية والأطيار الصادحة وبجمال السماء ، كمـا وصف الطبيعة في أحوال غضبها ورضاها وبردها ودفئها واكتسائها وعريها ؛ وما يمكن أن ينعطف على ذلك من أحوال .

هذا ويُعَدُّ ويليام وردزورث من أولئك الشعراء الذين يدينون بخلـودهم لأوصافهم الطبيعية الساحرة ؛ حيث كتب أروع قصائده في وصف الطبيعة ؛ ولا غرو في ذلك ، فالطبيعة مادة الشعر وصميمه .

ومن السهل أن نلاحظ عند ويليـام وردزورث مـدى حـرارة الهيام بالطبيعة والإمتزاج بروحها والنفاذ إلى خفي معانيها وأسرارها ، وهذا مـن

شأنه أن يرتفع بقيمة وصف الطبيعة عند الشاعر الإنجليزي إلى أعلى الدرجات .

الأشعار الرعوية

وإذا ما انتقلنا إلى جانب " الأشعار الرعوية " عند " عبد العال القدرة " و" ويليام وردزورث "؛ فإنّ الطبيعة الجميلة الآسرة ؛ مصدر الوحي والإلهام ، قد شجّعت الشاعرين على النظم في هذا الفن ، وكان شعرهما فيه قائماً على استلهام الطبيعة بمروجها الرحيبة ومفاتنها الهادئة ومباهجها المتنوعة ؛ فجاء شعرهما صادقاً صافياً ؛ ينقلنا _ ونحن نقرأه _ إلى أجواء حالمة تملؤها البهجة وإلى فضاءات ليس لها حدود .

هذا هو الشاعر العربي في قصيدة من أروع ما كتبه في هذا الباب ؛ يقول الشاعر (١٥) :

حيث ضاقَ القلبُ ذرعاً بضجيج الحاضراتْ
أخذ الخطوُ يُرَجِّي بعضَ بعض السانحاتْ
وقريباً من شُعيبٍ ساحرٍ كالأُمنياتْ
أرسلَ الراجي جَنَانَاً وعيوناً ناظراتْ
إذ رأى المرعى يناجي زغردات الراعياتْ
ورأى الساعات سكرى تحت ظلٍّ من ثباتْ
يصدح الحبُّ نشيداً من قلوب الصادحاتْ
لا يشوب الصمتَ شيئاً فالأغاني صامتاتْ

وعصـــافيرُ الشـــعابِ رائحـــاتٍ غاديـــاتْ
وكـــلامُ النـــاي يســمو فـــوق كـــل الأُغنيـــاتْ
وهـــديلٌ للحمـــامِ ..... كـــم دعـــاني للصـــلاةْ
إنّهـــا دنيـــا الســـلامِ ..... إنهـــا دنيـــا الرعـــاةْ
تمـــلأ القلـــبَ هـــدوءً ..... ذاك بعـــض الأُمنيـــاتْ
إنّ إنســـاً لـــم يزرهـــا ليتـــه يومـــاً يـــأتْ

ويقول في قصيدة ثانية (١٦) :

إذا يممـــتَ صـــوبَ الســـهلِ والـــوادي
رأيـــت لعمـــركَ العجبـــا ..... بـــذا الـــوادي

فللعصـــفور أُغنيـــة ..... تُعـــاودهُ
وللقطعـــانِ أصـــواتٌ ..... بتـــردادِ

إذا الأغنـــام صـــوت النـــاي يطربهـــا
فـــإن النـــاي أشـــجى الطـــائر الصـــادي

تـــرى الرعيـــانَ فـــي دُنيـــا رعيّـــتهم
جماعـــات ..... جماعـــات ..... وأفـــرادِ

وللحُصّـــادِ وقـــت حَصَـــادهم طَـــرَبٌ
أرقّ مـــن الغُصـــين الأخضـــر النـــادي

تضـــيع بجنـــةِ الرعيـــان إنْ رَغِبَـــت
حواسُـــكَ متعـــةً وبـــدون إجهـــادِ

وتـــأبى أوْبَـــةً للبيـــت إنْ تاهـــت
حواسُـــك بـــين رُعيـــانٍ وَحُصّـــادِ

وهذا هو وردزورث _ من جهة مقابلة _ يتحفنا بواحـدة مـن روائـع قصائده في هذا الباب ، والقصيدة بعنوان " الراعي الكسول " (١٧) ، حيـث يقـول الشاعر :

هنالك على العشب بجانب إحدى الصخور
حيث كان الصبيّان جالسين في الشمس يعزفان
واحدة من مقاطع أناشيد عيد الميلاد حيناً ....
وأحياناً يصنعان قبعتين لهما ....
من نباتات الوادي المنتشرة من حولهما بوفرة ....
وكانا يقضيان الوقت ....
كالنهار المشرق السعيد
في فرح غامر ....

والرمال المرحة كانت دائماً تغني
أغنية فرحى
تتمدد على طول ضفة النهر
في الوقت الذي كان فيه طائر السمان
مشغولاً في الغاب ...
بصراخه القوي العالي ...
ومئات الأغنام تنتشر هنا وهناك
وكلها حديثة الولادة
وكانت الأرض مع السماء
تعيشان أفراحاً غامرة ....
وإذا تأملت الراعيين
وجدتهما الأكثر ابتهاجاً من الجميع !!

ويقول وردزورث في قصيدة ثانية من قصائده الرعوية (١٨) :

تحت ضوء القمر المشع ؛ تتفتح الأزهار الربيعية الجميلة
ويشعشع ماء الغدير في الليالي القمراء .....
وتشرق الشمس بأنوارها فتسلب العقول والألباب
غير أني أشعر أن مجداً سالفاً قد غادر وجه الكون
وعندما تغرد العصافير أغاريدها الرائعة
تتجمع الخراف الصغيرة ؛ كأنّ صوت طبل يجمع بينها
لقد غاص في خاطري إحساس حزين .....

لكن نداء الطبيعة أيقظني وأنقذني من تلك المشاعر
الحزينة البائسة ... وأيقظني صوت شلال ينحدر من
أعلى الجبل ، كأنه ينفخ في بوق القدر ...
لأنفض عن نفسي غبار الأحزان ...!

وبعد ذلك ؛ فإن الشاعرين يظهران ثقةً بالطبيعة لا تُحَدّ كما يثقان بقوتها وأمومتها ومؤثراتها القوية الناطقة بالمعرفة والحكمة ، حتى أنهما ليستغنيان بها عن المعرفة الإنسانية المتمثلة في الكتب وما تحويه من معارف وعلوم ؛ فكلاهما يطرح على الطبيعة ما يدور بخاطره من أسئلة كثيرة ؛ فتجيبه غير باخلة عليه ؛ فلا عجب بعد ذلك أن نجد كلاً منهما يسمي الأرض " بـالأُم " ويثق بأنها تغذيه بالحكمة في كل وقت وفي كل حين ؛ لذلك فإن كل واحد منهما يتوجَّهُ اليها وقت الضرورة وحينما يشاء .

يحدثنا الشاعر عبد العال القدرة في قصيدته تحت عنوان " كرم الطبيعة وجمالها " (١٩) ؛ عن ثقته بالطبيعة وبما تفضيه إلينا من أسرار وبما تفتننا به من نور وضياء عظيم ، إضافة إلى علوم مختلفة .

يقول الشاعر :

وهـذي الطبيعـة دومـاً يكـون
بها الخيـر ... والخيـرُ فيهـا يُسَـنْ
وتفضـي إلينـا بسـرِّ الحيـاةِ
وسـرِّ العلـوم ومعنـى الـوطنْ
فلا الكُتُـبُ تُغْنـي عـن العلـم منهـا

ولا الــدرس فــي جامعــات المهــنْ
إذا قـــد فُتِنْــــتَ بنيـــل العلـــومِ
ففيهــا مــن العلــم مـــا قــد فَــتَنْ
إذا يبـــدع الإنـــسُ صُـــنعَ الظـــلام
فقـــد أبـــدَعَت شَـــمسَ كـــل زَمـــنْ
بهـــا مرتـــعٌ للجمـــالِ عظـــيمٌ
فـــأنّى ذَهَبْـــتَ بهـــا تُفْتَـــتَنْ

وعلى الجانب الآخر ؛ نجد ويليام وردزورث يقول في قصيدته تحـت عنوان " اعتراض وجواب " (٢٠) ، مجيباً على ما خاطبه به صديقُهُ " ماثيو " في صبيحة يوم وهو جالس بجانب بحيرة يستمتع بجوارها قائلاً له :

أراك تنظر إلى الأرض أراك تنظر إلى أمك الأرض .

يقول الشاعر وردزورث في الرد على صديقه :

مالي أراك _ يا ويليام _ جالساً على هذه الصخرة
البيضاء .... مضيعاً للوقت وحيداً ؟
انظر إلى الكتب التي أورثت الدنيا كنوزاً من النور
فأخرجت الإنسان من الجهل إلى المعرفة
انهض إذاً وانهل من الروح التي أورثها لنا السابقون
ولكني أراك تنظر من حولك إلى " أمك الأرض " ....
كما لو كانت تلد عبثاً ...
بل كما لو كنت ولدها البكر ولم يعش غيرك
على وجهها أحدٌ من قبل .

هذا ما قاله لي صديقي " ماثيو " ذات يوم في الصباح وأنا جالس على ضفاف بحيرة جميلة استمتع بصحبتها ؛ فأجبته :

للعين أن ترى لا أن تختار
ولا نستطيع أن نصم آذاننا عن نداء الطبيعة
وحواسنا تعمل شئنا أم أبينا
إن قوى الطبيعة تترك في نفوسنا أقوى أثر
إن الطبيعة تغذينا بالمعرفة والحكمة من حيث ننتظر !
هل تعتقد بعد كل هذا ونحن نعيش وسط كل هذه
المؤثرات القوية الناطقة بالحكمة
بأننا لا نستطيع جَنْي المعرفة إلاَ بالبحث عنها بين صفحات الكتب ؟
لا تسأل إذاً : لِمَ أجلس منفرداً على الصخرة البيضاء غارقاً في الأحلام!!

وهنالك نوعٌ آخر من " شعر الطبيعة " لدى الشاعرين ؛ ذلك النوع الذي يمزج فيه كل من الشاعرين مزجاً كاملاً بين الطبيعة في صورة الوطن المحبوب وبين صورة الحبيبة ؛ ففي قصيدة له بعنوان " أرسلتُ روحي للوطن " (٢١) ؛ يقول الشاعر العربي عبد العال القدرة :

أحببتُ شمس بلادنا في سحرها ....
أحببتُ روح بلادنا في عزّها ....
أرسلتُ روحي تبتغي دفء الوطنْ ..
أرسلتُ مَعْها وردتين إلى " الحبيبة " في الوطنْ !!

أرسلت روحي للبلاد تزورها
وتزور " حسون الجَنَان " بلا خفَرْ !!

أحببتُ شمسَ بلادنا في سحرها
وعشقتُ زهرَ البرتقال بموطني
وعشقت زخات المطرْ .....

مطرٌ روى كل الرؤى .. مطرٌ روى كل السِّيَرْ
سيَر الجمال بموطني .. سير الملائك والبَشَرْ

وتَيمَّنَتْ روحي بأيام المطرْ
تلك التي راحت هَدَرْ
من عُمْرِ " أيام الصِّبا "
حيث " الحبيبة " والمطرْ
اليوم أرآها خبَرْ

كانت تُحَدِّق أعيُني ..
كانت تُحَدِّق في الشّجَرْ .. كانت تحدّقُ في المطرْ
في كلِّ فصلٍ للشتاء بموطني
كانت تُحَدِّقُ في الشجرْ .. كانت تحدق في المطرْ
في ذلك الفصل الجميلْ .. في ذلك الزمن الجميلْ ..
حيث الوداعة والبراءة والمطرْ

أحلى من الفردوس في عز الربيعْ
آهٍ لبُعدك يا وطنْ !!

وفي قصيدته تحت عنوان " عــلام " (٢٢) يمزج الشاعر ذاتــه بــين صور الطبيعة في وطنه وبين صورة الحبيبة كذلك ؛ يقول الشاعر :

عــــلام ابتســـامك يـــوهج قلبــــي
وللحُســـن فــــي شــــفتيك ابتســـامْ
وللنـــور فـــي ناظريـــك احـــورارٌ
وللنـــور مـــن خصـــلتيك وســـامْ
تَصـــاوير للبحـــر فـــي مقلتيـــكِ
وللشـــمسِ فيهـــا تجلَّـــى مقـــامْ
وللفجر فـــي الفجـــر منـــكِ التمـــاعٌ
وللعـــزّ فيـــكِ ذرىً لا تنـــامْ
وللعطـــر والزهـــر فيـــكِ ظـــلالٌ
وللســـحر والحُســـن منـــك حســـامْ
وصوت العصافير في كـل صـــوبٍ
تُغنّـــي لظبـــيٍ عظـــيم الغـــرامْ

وفي موضع آخر بديوان " جنتان عن يمين " في قصيدة بعنوان " رفوف الأماني " ؛ يقول القدرة :

بعينيـــك تبـــدو رفـــوف الأمـــاني
وتبعث فـــي الـــنفس عـــرس الخلـــودْ
بعينيـــك يشـــدو جمـــال بـــلادي
بعينيـــك غنَّـــى جميـــل النشـــيدْ
بحـــارُ فلســـطين فيهـــا تجلّـــت
وكـــل بحـــار الـــدُّنا والوجـــودْ
بهـــا يســـكن النـــور طـــوراً وطـــوراً
أرى للســـماوات بعـــضَ الوجـــودْ

وإذا ما ذهبنا لنتأمل ما لدى الشاعر الإنجليزي ويليام وردزورث حـــول المزج بين صورة الوطن المحبوب وصورة الحبيبة ؛ لوجدنا أن خير ما يمثل هذا الاتجاه هـــو قصيـــدته الرائـــعة التي تضمنتها مجموعته تحت عنوان قصائد " لوسي " (٢٣) ؛ حيث يقول الشاعر :

عندما رمى بي القدر
في البقاع الغريبة النائية
لم أكن أعرف يا وطني
مدى تعلقي بأرضك وترابك
أما الآن فقد تيقّظت
ولن أتخلى عنك مرة ثانية
أيها الوطن الحبيب أيها الحب الكبير
في جبالك الجميلة ... كان هنالك بيت
تعيش فيه فتاة ساحرة

كانت تجلس قرب المدفأة
لتحيك نسيج الكتان
كان نهارك يا وطني وكان ليلك
يغمران مرة بعد مرة
بستانها الأخضر
وكانت نظراتها الوادعة
تطوف بسهولك الزاهرة !!

وإذا نظرنا إلى محاولات الشاعرين عبد العال القدرة وويليام وردزورث في استكناه سرّ الوجود من خلال " شعر الطبيعة " الخاص بكل منهما ؛ لوجدنا أن كليهما شَغِفٌ بذلك . يبدو هذا واضحاً من الأمثلة التي سنقدمها كنموذج لما لدى كل واحد منهما في هذا السبيل .

هذا هو الشاعر العربي يحاول معرفة " سرَ جُنحِ نُحيلة " ؛ إذ لو علم السرَّ الكامن فيه لعرف سِرَّ الوجود . وفي قصيدته بعنوان " أُمة النحل " (٢٤) يذكر لنا الشاعر شيئاً من هذا القبيل .

يقول الشاعر :

كم فيكِ من كلمات عالمنا بها
سِرُّ الوجود وكنْهه تأبى الكلامْ
كم رام لبّ الألمعيّ إذ انبرى
للسرِّ يبحث عنه لم يلقَ مرامْ
ويضيعُ فيه الفيلسوف وما رأى

في الـدرب بارقــةٌ ولا خَبِــرَ المقــامْ
لو كنــتُ أعلــمُ سِــرَّ جُـنحِ نُحَيْلَــةٍ
لعرفت ســرّ وجودنــا رغـم الظــلامْ

وفي قصيدة بعنوان " يا بحر " (٢٥) ؛ يخاطب الشاعر البحر قائلاً :
إنك _ أيها البحر _ شاهد عيان " لقصة الخَلْق الأولى " وأنك عميد هذا الكون العظيم ؛ حيث يقول الشاعر :

" قصـــة الخلــق " أراكــا شــاهداً فيهــا عتيــدْ
منــذ حــواء وآدمْ .... أنــت فــي الكــون عميــدْ

وفي قصيدة بعنوان " يا بحر ٣ " (٢٦) ؛ يقول الشاعر مخاطباً البحر :
إن كل أسرار الوجود موجودة لديك أيها البحر وليت لي بعضاً منها ؛ لأنني _ عندها _ سأدرك ما في الوجود من أسرار .
يقول الشاعر :

كــل أســرار الــدُّنا رهــن لــديكا
كــل أســرار الوجــودِ والأنــامْ
ليت لي يا بحر منها _ من صــديقٍ _
بعض ســرٍ ؛ عنــدها لا لــن أُضــامْ

عنــدها أُدرك مــا الكــون ومــاذا
فــي الوجــودِ مــن مُبــاحٍ وحــرامْ

عنـــدها أُدرك مــــا الخطـــب وأدري
ســـرَّ هــذا الكــون فـــي كــل مــرامْ

وإننا لنجد بعض هذه المعاني عند الشاعر الإنجليزي في حديثه لزهــرة صغيرة ضئيلة النمو ، بعد أن قام بانتزاعها من مكانها ، وبادر بوضعها على كفه ؛ وخاطبها قائلاً :

أيتها الزهرة النامية
الطالعة من بين شقوق الجدار
ها قد انتزَعَتْكِ أناملي
وهأنت كلك محمولة على كفي
غير أنني لو استطعت استكناه سِرّك
لعرفت سر الله ...
وسر الناس جميعاً !!

المعنى والأسلوب عند الشاعرين

أ) المعنى والأسلوب عند القدرة

لقد جمع الشاعر بين الفكر الواسع المتصرف وبين المقدرة اللغوية التي ذللت له أعنّه البيان وتصرف بها في الألفاظ والتراكيب ؛ فكان لـــه فضـــل ترحيب جوانب اللغة وإكساب تعبيراتها مرونة وجِدَّة وأعطى ألفاظها منزلـــة سامية لورودها مورداً حسناً في أشعاره ، إضافة إلى أنه استطاع أن يجمـــع بين رقة الشعور والبصر بالآلات التي يكون بها أداء ذلك الشعور .

لقد تأثر عبد العال القدرة بروح اللغة التي كتب فيها ، ولقد كتب فيهـــا ونظم بها حتى اختلط بروحها وامتزجت أفكاره بمفرداتها وأســـاليبها ، وقـــد اختار من مفرداتها تلك التي تنهض بمشاعره وأفكاره في أوجز لفظ وأحكمه وأوضحه بياناً بما تمتاز به تلك المفردات من رحيب المعـــاني وقـــد وُفِّـــق الشاعر في خَلق ذلك النوع من التوازن بين المعنى والأسلوب ؛ فلا يطغـــى عنده الأسلوب على المعنى _ كما هو الحال عند الشعراء العرب كافة _ ولا يطغى عنده المعنى على حساب الأسلوب ؛ حتى أنه ليتعذر أحياناً التفريـــق بين المعاني والأساليب التي هي مفرغة فيها ؛ لتمازجها تمازج الجسد مـــع الروح . وقد بلغ الشاعر تمامه فيما قاله من أشعاره ، حيث جعـــل الســـيادة للقصد والاعتدال بين اللفظ والمعنى ؛ لأنه لو جعل المعنى يســـتبد بالمكانـــة كلها لأخرج ما كتبه من حيز الأدب إلى حيّز العلم ؛ ولو جعل اللفظ غاية في ذاته لهبط بقيمة الأثر الأدبي وجعله أشبه بالصناعة منه بالفن الراقي . هـــذا

وقد برهن الشاعر على واسع بصره بأسرار اللغة العربية ؛ فهو يحاول دوماً أن يشق للشعر مسلكاً جديداً .

وعلى الرغم من احتفاء الشاعر عبد العال القدرة بالأسلوب فإنه لم يُغلِّبه على المعنى ولم يجعله غاية في ذاته ، ولم يصبح الأدب عنده براعة في اللفظ ؛ بل ظل اللفظ عنده خادماً للمعنى ، وبقي غرضه الأول من الكتابة هو الإفصاح عن الفكر والشعور ؛ فقد نظم كثيراً من بدائع الشعر في أبسط لفظ ، بل إنه كثيراً ما كان ينظم تلك النفائس بألفاظ بسيطة لكنها رائعة . لقد نضجت نفس الشاعر وحصف ذهنه بتجربة الحياة واختبارها واستيعاب معارفها ؛ فتحولت عنايته إلى المعاني والحقائق وأنزل اللفظ في آثاره منزلته الصحيحة وهي كون اللفظ وسيلة للمعنى لا غاية في ذاته .

ب) المعنى والأسلوب عند وردزورث

لقد استطاع ويليام وردزورث أن يخلق اللغة الشعرية الجديدة ؛ كما استطاع أن يقضي على المصطلحات الجاهزة التي كانت تستخدم في القرن الثامن عشر . وقد قام بإدخال كلمات جديدة إلى الشعر ؛ يمكن بواسطتها الوصول إلى التعبير الحي عن الطبيعة والحياة والمشاعر البشرية ، لكنه وصل إلى مستوى من البساطة مسف إلى حدٍ ما ، وقام انتقاؤه على أساس مصطنع ؛ فلجأ إلى الكلمات البائدة غير المستعملة ، وكانت لغة شعره في حد ذاتها وسيلة للانقطاع عن الواقع كما كانت وسيلة لوضع سور بينه وبين ذلك الواقع .

ومع ذلك ؛ فإن مما لا شك فيه أن الطبيعة الإنجليزية قد لاقت تعبيـراً جديداً في أشعار ويليام وردزورث ؛ فهو الذي وجد الكلمات الدقيقة والمعبرة للتعبير عن ألوان الأوراق والميول الضوئية واسـتطاع أن يرسـم غابـات انجلترا ومراعيها ومروجها الخضراء بالكلمات ، ولا عجـب فـي ذلـك ؛ فالطبيعة لدى وردزورث هي رمز للثبات واللاتبدل والهدوء الراسخ ويتحول هذا الرمز إلى تأنيب حي للمجتمع الدائم التحول والحركة . ومن ناحية ثانية فقد اتّجه الشاعر وردزورث إلى لغة العواطف ولغة الطبيعة رداً على مقاييس الشعر الكلاسيكية من جهة وعلى أفكار عصر التنوير المعتمدة على العقل من جهة ثانية .

إلا أن شعر وردزورث يحمل بعض الجوانب السلبية التي لا بـد مـن الإشارة إليها : ألا وهي التشكيك بقوة الإنسان وجعله لعبة تافهة بأيدي القوى الخفية السرّيّة المخيمة على الطبيعة .

أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين الشاعرين

أ) أوجه الاتفاق

- إنَّ أهمَ أوجه الاتفاق بين الشاعرين عبد العال القدرة وويليام وردزوورث هو علو مكانة " شعر الطبيعة " لدى كل منهما ؛ وقد برهن على سمو هذه المكانة ذلك الكم الهائل من قصائد شعر الطبيعة في شعر عبد العال القدرة ؛ ذلك الكم الذي لم يسبق له مثيل في الشعر العربي خلال عصوره المختلفة ؛ بما يحمله ذلك الكم من روائع شعرية ؛ إذ تعتبر بحق خير ما كتب في شعر الطبيعة . وعلى الجانب الآخر عند ويليام وردزوورث ؛ نجد أن شعر الطبيعة يسيطر على معظم قصائده وينال جزءاً كبيراً من عنايته واهتمامه . وهذه حقيقة يتفق عليها النقّاد ولا تحتاج إلى دليل أو برهان .

- ومن أهم أوجه الاتفاق بين الشاعرين _ كذلك _ هو حرارة الهيام بالطبيعة والامتزاج بروحها ومحاولة النفاذ إلى خفي معانيها وأسرارها ؛ ولا عجب في ذلك ؛ فالطبيعة هي مرتع فكر الشاعر ، ومتاع بصره ومهبط وحيه ؛ إلى ظلالها يسكن وبين محاسنها يهيم ؛ فالطبيعة إلف الشاعر الحميم ؛ إليها ترتاح نفسه ، وبفضلها يستريح فكره ؛ فهو يهرب إلى أحضانها ؛ كلما أثقلته الهموم وأضجرته معاشرة البَشَر .

- إنّ حرارة الشغف بالطبيعة وطول مصاحبتها وإدمان التأمل في محاسنها ، ومحاولة النفاذ إلى معانيها ، وصدق التعبير عــن وحيهــا ، ودقــة الوصف لمجاليها المتعددة هي من أهم ما اتفق عليه الشاعران عبد العال القدرة وويليام وردزورث .

- اهتمام الشاعرين كليهما بالأشعار الرعوية ؛ حيث أفاض كــلّ منهمــا بالحديث عن الطبيعة الآسرة ؛ مصدر الوحي والإلهام ، وكان شعرهما في ذلك قائماً على استلهام الطبيعة الساحرة الجميلة : بمروجها الرحيبة ومفاتنها الجميلة وألوانها الفاتنة .

- اثبت الشاعران عبد العال القدرة وويليام وردزورث ثقتهمــا بالطبيعــة وأمومتها ومؤثراتها القوية الناطقــة بالمعرفــة والحكمــة ، حتــى أنّ الشاعرين ليستغنيان بها عن المعرفة الإنسانية التي تقدمها الكتــب بمــا فيها من معارف وعلوم . بل إن كلاً منهما يسمي الأرض بالأُم ؛ ويثق أنها تغذيه بالحكمة وتغنيه عن الكتب والمعارف الإنســانية ، فكلاهمــا يستنطق الطبيعة _ لا الكتب _ موجهاً إليها ما يدور بخاطره من أسئلة عسيرة ، فتجيبه غير باخلة عليه .

- يتّحد الكاتبان عبد العال القدرة وويليام وردزورث " في الرؤيــة " مــن جهة أن بين الطبيعة والإنسان فرقاً شاسعاً ؛ فالطبيعة بشوشة كريمــة ، والإنسان حقود بخيل ، وهي تنطوي على الحنان ؛ وهو ينطوي علــى القسوة بكل أشكالها .

ب) نقاط الاختلاف

تتركز نقطة الخلاف الوحيدة بين الشاعرين في أن ويليام وردزورث قد كتب معظم قصائده وأشعاره في وصف الطبيعة ، وقلما تخلو قصيدة من قصائده من بيت أو بيتين في وصفها ؛ في حين أن عبد العال القدرة قد ألّفَ ستة وعشرين ديواناً شعرياً ؛ كان لشعر الطبيعة فيها نصيب كبير ، غير أنّ هذه الدواوين قد احتوت على خمسة دواوين في رثاء الشهداء وخمسة دواوين رَسَمَت صورة الانتصار العربي في مصر ولبنان والعراق وفلسطين وبعض الدواوين كانت في الغزل العذري ؛ وكان _ قبل ذلك كله _ للطبيعة حظٌ وافر ؛ حيث احتوى ديوانه " كتاب البحر " على خمس وعشرين قصيدة ، وديوانه " كتاب الطبيعة " على خمس وعشرين قصيدة واحتوى ديوانه " ربة السحر " على خمس وعشرين ، وديوانه " كتاب الكون " على خمس وعشرين قصيدة ؛ يمكن اعتبارها أفضل ما كُتب في شعر الطبيعة في الأدب العربي في عصوره المختلفة . هذا بالإضافة إلى عددٍ كبيرٍ من القصائد في وصف الطبيعة ؛ توزَّعت على دواوينه المختلفة . لكن هذه الدواوين المختلفة لم تكن كلها في شعر الطبيعة ، وإنما جاء وصف الطبيعة فيها في قصائد متفرقة ؛ يتداخل فيها شعر الطبيعة مع الأمور الوطنية والقومية والعاطفية في كثير من الأحيان .

نتائج البحث

- يعتبر هذا البحث العلمي أول بحث يتناول " شعر الطبيعة " عند الشاعـر عبد العال القدرة ، وهو أيضاً أول بحـث يتنـاول بالدراسـة المقارنـة الشاعرين القدرة ووردزورث .

- يعتبر هذا البحث اكتشافاً حقيقياً لشاعر كبير من شعراء الطبيعـة الـذين يفتقر إليهم الأدب العربي وهو بحق يسدُّ فراغاً هاماً في الأدب العربـي وفي المكتبة العربية على حدٍ سواء .

- ومع اطلاعنا على شعر ابن الرومي (الذي شكَّل ظـاهرة نـادرة بـين الشعراء العرب السابقين في مجال شعر الطبيعة) ؛ فإننا نرى أن الشاعر عبد العال القدرة قد استطاع أن يتفوق على ابن الرومي في ميدان شـعر الطبيعة من الناحيتين الكمية والكيفية في آن معاً .

- أظهر البحث عدم وجود اختلافات جوهرية بين الشاعرين عبـد العـال القدرة ووليام وردزورث ، ولم يقف عند ذلك بل تجـاوز إلـى تحديـد جوانب عديدة تمثل تقارباً وتشابهاً كبيرين بين هذين الشاعرين في الفلسفة والأفكار والمواقف والأهداف ما من شأنه أن يصـل بـذلك إلـى حـد الطرافة.

- اكتشف البحث جوانب عديدة من أوجه التشابه بين القـدرة ووردزورث فـي " شعر الطبيعة " وطريقته وكيفيته ومراميه وما يمكن أن ينعطـف على كل ذلك من أمور .

- لقد وضع الشاعر عبد العال القدرة " الأُسس الأولى " لفن " شعر الطبيعة " في الأدب العربي كفنٍّ قائم بذاته . وعليه فهو يُعتبـرُ بحـقّ " شـاعر الطبيعة " الأول في الأدب العربي بلا منازع .

- إن اكتشاف أوجه التشابه العديدة بين هذين الشاعرين الكبيرين ، وعقـد صلات فكرية بين شاعرين من قوميتين مختلفتين ، لهو خير دليل علـى مدى اتصال التراث الإنساني العظيم وتشابك مكنوناته الثرّة ؛ مما يدفعنا إلى الإيمان بضرورة تعميق الاتصال بهذا التراث العظيم الشامل .

- وعلى الجملة ؛ فإنه يمكن القول _ أخيراً _ بأن هذا البحث يمثل إضـافة علمية هامة وجديدة .

مــلحــق الدراســة

عبد العال القدرة

حياته وأعماله

ولد عبد العال حسن القدرة في بلدة " القرارة " الوادعة القريبة من مدينة خانيونس الفلسطينية في الثاني عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ . ومعروف عن تلك القرية أنها جميلة ساحرة تنتشر فيها بساتين البرتقال واللوز والزيتــون والكروم وغابات النخيل ؛ وهي فوق ذلك جارة قريبة للبحر الأبيض المتوسط الذي يزيد تلك القرية الآسرة سحراً وروعة وجمالاً ؛ مما كان له بعيد الأثر في تكوين شاعريته فيما بعد .

بدأ دراسته للمرحلة الابتدائية بِـ " دير البلح " ثم أنهى الدراسة فيها بعد ست سنوات ؛ انتقل بعدها إلى مدرسة إعدادية في خانيونس، وفــي المدينــة المتقدمة ذاتها أنهى المرحلة الثانوية. وقبل أن نترك الحديث عــن المراحــل الأولى لدراسته ؛ يجدر بنا أن نذكر أنه بدأ كتابة الشعر وهو في سن الثانيــة عشرة من عمره ، وأنه كتب أولى قصائده عن الحرية التي كــان محرومــاً منها ، لأن والده كان يمنعه من الخروج من البيت ومــن حريــة الحركــة والتجول كباقي أبناء جيله في ذلك الوقت ؛ وذلك حرصاً من الوالــد علــى دراسة الابن وتفوقه . وقد كانت الأبيات الأولى تدور حول معنى الحريــة ؛ كتب يقول عن الحرية في ذلك السن المبكر :

تمنيــت لــو أن أكــون طليقــاً
كمثل النُحــيلاتِ فــوق الزّهَــرْ
تروح .. تجيء .. تَمُصّ الرحيقَ
ولا تحسد الروضَ مهما ازدهــرْ
وَتُعطيك شــهداً شــهي المــذاق
وفيــه الشــفاء لكــل البشــرْ

وقبل أن نترك الحديث عن سني دراسته الأولى يجدر بنا كذلك أن نشير إلى أول من تنبه إلى وجود ملكة الشعر عنده ؛ فقد كان مدرس اللغة العربية يشرح لهم درساً في قواعد اللغة ، وحينما رآه منشغلاً بالحديث مع جاره في المقعد (وكان الحديث يدور حول قصيدة كَتَبَها آنذاك) تقدم وأخذ الورقة التي تحتوي على تلك القصيدة ونظر فيها ثم قال : جيد ..... انتبهوا معي إلى الدرس. وبعد انتهاء الحصة سأله عما إذا كانت القصيدة له؛ فأكّدَ للمدرس بأنها كانت له . وعلى الأثر وعلى خلفية معرفته بأن القصيدة كانت له غَمره بالثناء والتشجيع قائلاً : " إن لديك موهبة تستحق الإعجاب وتستحق الكثير الكثير من القراءة لصقلها والارتقاء بها " .

وقبل أن نترك هذه المرحلة من حياة عبد العال القدرة ؛ لا بدّ من الإشارة إلى الأثر العميق الذي تركته حرب " العدوان الثلاثي " على مصر وقطاع غزة في نفس الشاعر؛ فأصدر روايته الأولى " أبطال الهمجية " . لقد احتل الإسرائيليون قطاع غزة وكان الشاعر آنذاك في الثامنة من عمره ، ولكنه استطاع أن يختزن تلك الذكريات الأليمة والمفجعة عن الحرب ؛ كما استطاع أن ينشر روايته المتقدمة حينما أصبح طالباً في السنة الثالثة من

المرحلة الثانوية ؛ وقد قال أحد النقاد الفلسطينيين _ فيما بعد _ بأنها الرواية الفلسطينية الوحيدة التي تؤرخ لحرب عام ١٩٥٦ على قطاع غزة .

ترك عبد العال القدرة فلسطين إلى لبنان عام ١٩٦٩ كي يلتحق بالجامعة . وأثناء دراسته بجامعة بيروت العربية أنشأ صديقُهُ وأستاذه الدكتور أسعد علي " المنبر الحر " عام ١٩٧٠ ، وكان الطلاب يستمعون إليه (وإلى زميله في الدراسة الشاعر جورج حداد) من كل الصفوف والجامعات . وفي عام ١٩٧٠ ذاته أصدرت له " دار الجامعة العربية " في بيروت ديوانه الأول بعنوان " الضياء الخالد " وكان عبارة عن رثائيات للزعيم الخالد جمال عبد الناصر . وفي عام ١٩٧١ أصدرت " دار العودة " ديوانه الثاني " جَداول السَّراب " . وخلال الدراسة الجامعية في بيروت كتب مجموعته " أناشيد العاصفة " التي نشرت فيما بعد .

حصل على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها عام ١٩٧٢ من الجامعة ذاتها ؛ ثم سافر بعدها إلى ليبيا ليعمل مدرساً ، وبعد أكثر من عام عبر الجيش المصري القنال ليحرر سيناء ؛ مما كان له عظيم الأثر في نفس الشاعر ؛ فأصدر ديوانه " كتاب العبور " ليصور ابتهاجه وابتهاج أبناء أُمته بحرب أكتوبر ١٩٧٣ تلك الحرب التي كان لها أثرها الكبير على معنويات أبناء الأمة العربية العظيمة .

وفي عام ١٩٧٧ ترك ليبيا إلى فرنسا لمتابعة الدراسة فيها بجامعة بروفانس . حصل على الماجستير من جامعة بروفانس عام ١٩٨٠ . كما حصل على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن من القسم الفرنسي بالجامعة ذاتها عام ١٩٨٣ . كان عنوان رسالة الماجستير هو :

La Revolution Social Dans La Poesie de Marouf-AL-Rusafi.

الثورة الاجتماعية في شعر معروف الرصافي . وكان عنوان أطروحة الدكتوراه هو :

L' influence de J.J. Rousseau sur La Litterature Egyptienne Contemporaine.

تأثير جان جاك روسو على الأدب المصري الحديث .

سافر بعدها إلى الجزائر عام ١٩٨٤ وعمل بها مدة أربع سنوات ؛ أصدر خلالها كتاباً بعنوان : " موشحات أندلسية " ، وكتاباً آخر بعنوان " أمثال فلسطينية وانجليزية " .

ترك الجزائر إلى المانيا عام ١٩٨٨ ومكث بها ما يزيد على ثلاث سنوات ؛ عمل خلالها على تدريس اللغة الفرنسية بمدارسها الخاصة ؛ تركها _ بعد ذلك _ إلى ليبيا ؛ حيث عمل بجامعة سبها لمدة عامين ؛ ألَّفَ خلالها ثلاثة كتب هي :

١- الأدب المقارن (وقد تعاقدت معه جامعة سبها على حيازة الطبعة الأولى لمدة خمس سنوات مقابل مكافأة مالية قدرها ثلاثة آلاف دينار).

٢- شخصيات عربية وغير عربية (الطبعة الأولى) .

٣- بحوث الماجستير والدكتوراه (تمَّ طبعه في غزة فيما بعد عام ١٩٩٦).

استقال بعدها ليعود _ من جديد _ إلى فرنسا ؛ حيث مكث فيها مدة عامين ، عاد بعدها إلى أرض الوطن بعد اغتراب دام ثمانية وعشرين عاماً (نصفها في البلاد العربية ونصفها في أوروبا الغربية) ؛ حيث زار أو عاش في مصر والأردن وسوريا ولبنان وليبيا وتونس والجزائر وانجلترا وفرنسا وايطاليا وسويسرا والمانيا واسبانيا وبلجيكا ولكسمبورغ ومالطا وغيرها.

عمل _ فور عودته من المهجر _ بجامعة الأقصى عام ١٩٩٥ ولا زال محاضراً بها إلى الآن ، أصدر العديد من الأبحاث العلمية ، وهي على التوالي :

١- روسو والحكيم (الأصل والصورة) - مجلة (الجامعة الإسلامية) العلمية - العدد الأول - يناير ١٩٩٧ .

٢- تأثير جان جاك روسو على فرح أنطون - مجلة (الجامعة الإسلامية) العلمية - العدد الثاني - حزيران ٢٠٠٢ .

٣- المرأة بين لافونتان ونزار قباني - مجلة كلية التربية (مجلة علمية محكمة) - جامعة الأزهر بمصر - العدد ١١١ - سبتمبر ٢٠٠٢ .

٤- النزعة الرومانسية بين ويليام وردزورث وأبي القاسم الشابي - مجلة كلية التربية - جامعة الأزهر بمصر - العدد ١١٨ - يونية ٢٠٠٣ .

٥- الأصول الإنجليزية لعقد روسو الاجتماعي - مجلة فكر وإبداع (مجلة علمية محكمة) - رابطة الأدب الحديث - عدد نوفمبر ٢٠٠٤ .

٦- قضية المصطلح في الأدب المقارن - مجلة فكر وإبداع المصرية - رابطة الأدب الحديث - عدد فبراير ٢٠٠٥ .

كما أصدر ست روايات هي : ١- أبطال الهمجية . ٢- أبطال الإرهاب . ٣- محمد الدُّرّة . ٤- على هامش الأُمية الحضارية . ٥- رسائل إلى سَيِّدي ناصر . ٦- نوبل ... لهدى غالية .

وله فوق ذلك ستة وعشرون ديواناً شعريا هي :

١- الضياء الخالد (رثائيات للزعيم الخالد جمال عبد الناصر) - دار الجامعة العربية - بيروت ١٩٧٠ .

٢- جَداول السَّراب (مجموعة شعرية) - دار العودة - بيروت ١٩٧١.
٣- أناشيد العاصفة .
٤- كتاب العبور (قصائد لحرب أكتوبر المجيدة) - طرابلس الغرب ١٩٧٣ .
٥- شفتان - اتحاد الكتاب الفلسطينيين (بلا تاريخ) .
٦- فلسطينية - اتحاد الكتاب الفلسطينيين .
٧- جنتان عن يمين - اتحاد الكتاب الفلسطينيين .
٨- حَسّون الملائكة - اتحاد الكتاب الفلسطينيين .
٩- شمس العمر (مجموعة قصائد) - اتحاد الكتاب الفلسطينيين - بلا تاريخ .
١٠- إلى النور - اتحاد الكتاب الفلسطينيين - القدس - غزة ١٩٩٩ .
١١- الشهيد الحي (مجموعة شعرية) - غزة ١٩٩٩ .
١٢- نصر لبنان - اتحاد الكتاب الفلسطينيين - القدس - غزة ٢٠٠٠ .
١٣- أناشيد الاستقلال (قصائد لمحمد الدّرة) - اتحاد الكتاب الفلسطينيين - القدس - غزة ٢٠٠٠ .
١٤- غزة فوق الشمس - (ذكرى مجزرة حي الدَّرج) القدس - غزة ٢٠٠٢ .
١٥- جنين جرح في جبين الكون - (ذكرى مجزرة جنين) - القدس - غزة ٢٠٠٢ .
١٦- آهِ يا أُمَّ قصر (ذكرى انتصار قرية عراقية على أكبر قوة في العالم) - اتحاد الكتاب الفلسطينيين - القدس - غزة ٢٠٠٣ .

١٧- الشهيد محمد – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٣ .

١٨- يا رسول الله – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٣ .

١٩- كتاب البحر (قصائد في شعر الطبيعة) – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٣ .

٢٠- كتاب الطبيعة (قصائد في شعر الطبيعة) – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٥ .

٢١- زلزال في رفح – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٤ .

٢٢- بغداد يا قلعة الأُسود – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٤ .

٢٣- غزة ... الانتصار الثالث – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٥ .

٢٤- ربَّةُ السِّحر – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس – غزة ٢٠٠٥ .

٢٥- كتاب الكون – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس ٢٠٠٦ .

٢٦- انتصار تموز – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس ٢٠٠٦ .

إضافة إلى ما تقدم ، فقد قام بتأليف مجموعة من الكتب العلمية ؛ كجزء من " موسوعة الأدب العربي " التي ينوي إصدارها قريباً تحت العنوان المتقدِّم . وله العديد من المقالات العلمية والأدبية في الصحف والمجلات الفلسطينية والدولية ، وما زال العطاء متصلاً ومتواصلاً في العديد من المجالات : الفكرية والعلمية والأدبية ..... العربية والعالمية .

أغراض شِعْره

الغــزل

كان كل شيء في البيئات العديدة المتنوعة التي عاش فيها الشاعر ما يغري بقول الشعر بشكل عام ويدعو إلى الغزل العفيف أحياناً ؛ فحبُّ الجمال وتنمية الحسّ الجمالي عند الإنسان ينمّي حبّه للنظافة والنظام ؛ وهما الركنان الأساسيان اللذان لا يمكن بدونهما اكتمال الشعور باحترام الذات احتراماً صادقاً ؛ هذا الاحترام الذي لا يمكن بدونه احترام الآخرين واحترام آرائهم احتراماً صادقاً أيضاً . إذ كيف للحرية والديمقراطية أن تجد طريقها بين أناس لا يحترمون أنفسهم وبالتالي لا يحترمون غيرهم ؟ إنَّ أي حديث عن الديمقراطية وأي حديث عن الحرية بمعناها الدقيق ؛ دون تجذير وتأصيل لمبدأ احترام الذات عند الإنسان العربي لهْوَ كلام في الهواء لا قيمة له ولا أساس .

لقد أحب شاعرنا الجمال وتغزّل به ، فكان لديه ذلك الفيض من شعر الغزل الصوفي العفيف ..... الرائع الجميل ؛ فكان أن توفرت لديه خمسة دواوين في الغزل الممتزج بوصف الطبيعة أو ذلك النوع من الغزل الذي يمزج فيه الشاعر بين الطبيعة في صورة الوطن المحبوب بسمائه وأرضه ونخيله وبحره وشتائه وصيفه وبين صورة الحبيبة ، وقد أبدع في ذلك إلى حدٍ بعيد .

المـــدح

كان مديح الشاعر فخراً كله ، فهذا ديوان بعنوان " يا رسول الله " يمدح فيه الشاعر النبي العربي الأعظم صلى الله عليه وسلم ويفتخر به أيما افتخار ، ويطلب بعد كل ذلك الشفاعة من نبيّه الكريم صلوات الله ورضوانه عليه .

ثم كان مديحه للانتصارات العربية في مصر ولبنان والعراق وفلسطين وكان كذلك فخراً كله بالانتصارات العربية في تلك الدول المتقدمة ؛ فديوانه " كتاب العبور " قاله في مدح أبناء الجيش العربي في مصر والافتخار بهم بعد أن قاموا بعبور خط بارليف وتحرير سيناء في حــرب أكتــوبر المجيــدة . وديوانـــه " نصر لبنان " كتبه تحية لأسود لبنان الذين أذاقوا جيش الاحــتلال الإسرائيلي هزيمة من أبلغ الهزائم في تاريخ الجيوش . وسطّر ديوانه " آهٍ يا أم قصر " اعترافاً ببطولة " أم قصر " تلك القرية العراقيـــة الوادعــة التــي هاجمتها أقوى جيوش العالم فلم تستطع السيطرة عليها رغم طائراتها المدمرة وأسطولها القوي ودباباتها الحديثة وتقنيتها المتفوقة ، لم تستطع أن تســيطر عليها إلا بعد خمسة عشر يوماً ، ولم تكن سيطرتها كاملة _ بعد ذلك _ إلى حين . وأمّا ديوانه " بغداد يا قلعة الأُسود " فيمثل تحية لانتصـــار المقاومــة العراقيـــة ؛ وديوانـــه " غزة ... الانتصار الثالث " فيمثل الافتخـــار بـــأول انتصار فلسطيني على إسرائيل .

شعــر الطبيعــة

تميَّز شعر الطبيعة لدى الشاعر بأنه شعر أصيل وقد أُجريت دراستنا العلمية حول شعر الطبيعة عنده مُقَارَناً بشعر الطبيعة عند ويليام وردزورث الشاعر الرومانسي الانجليزي الأول وأفضل من كتب في شعر الطبيعة في انجلترا طوال تاريخها وكان من نتائج تلك الدراسة أن عبد العال القدرة وابن الرومي هما أفضل من كَتَبَ في شعر الطبيعة في الأدب العربي قديمه وحديثه ، وأن الأول (المعاصر) يتفوق على الثاني (العباسي) من ناحية الكم ومن ناحية النوع ... في آنٍ معاً . وقد أصدر شاعرنا أربعة دواوين في شعر الطبيعة ؛ وتلك الدواوين هي " كتاب البحر " و " كتاب الطبيعة " و " ربة السحر " و " كتاب الكون " ، وقد احتوت تلك الدواوين الأربعة على مائة قصيدة . وله الكثير من القصائد في وصف الطبيعة موزعةً على دواوينه في الغزل ودواوينه الوطنية التي مَزَجَ فيها بين الطبيعة والغزل وحب الوطن كما مر بنا في غير موضع .

الرثــاء

لم يكن الرثاء عند شاعرنا لِيَأخذ الصورة التقليدية القديمة ، وإنما كان رثاء للشهداء وهذا النوع من الرثاء يعتمد لديه على الفخر بالشهداء وتصوير بطولاتهم وتخليد ذكراهم ليكونوا حافزاً للأجيال القادمة على بذل الدماء الذي يؤدي إلى النصر الأكيد ؛ إذا ما تَعَرَّضَت الأُمة للخطر وأطماع الغزاة الطامعين . وله في رثاء الشهداء ستة دواوين هي : " الضياء الخالد " ؛ قاله في رثاء زعيم الأُمة العربية الخالد الرئيس جمال عبد الناصر ، و"

الشهيــد الحي " قاله في رثاء مجموعة من المناضلين الفلسطينيين و " أناشيد الاستقلال " وهو مجموعة من القصائد الرثائية قالها في رثاء الطفل محمــد الدُّرة وأطفال آخرين استشهدوا أبان الانتفاضة الفلسطينية التي بدأت في شهر أكتوبر عام ألفين ، و " غزة فوق الشمس " وهو ديوان يخلد ذكرى مجــزرة حي الـــدرج بغزة ، و " جنين جرح في جبين الكون " يخلد ذكرى مجــزرة جنين و " الشهيد محمد " ديوان للشهيد الفلسطيني المجهول .

هذه هي أهم الأغراض التي كتب فيها شاعرنا عبد العال القدرة ؛ الذي كان شعره لا يخلو من شيء يمكن أنْ نسميــه "أدب النبوءة" إذا صحَّ التعبير ؛ ذلك الأدب الذي لن يخفَ على الباحث المقتدر ذي الموهبة الأصيلة ؛ ذلك الباحث الذي يستطيع أن يرى بقلبه وبعينه في آن معاً ؛ فإنه واجــده _ بــلا شــك _ في أدب عبد العال القدرة " شعراً " و " نثراً " على حدٍ سواء .

هذا وقد شغل عبد العال القدرة مناصب علمية رفيعة ؛ فكان أستاذاً مشــاركاً في الأدب المقارن وكان رئيساً للجمعية الفلسطينية للأدب المقارن ، وعضواً في اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ورئيساً لدائرة الآداب بمجمّع الكرامة للثقافــة والفنون . وهو مرشحٌ _ عند كتابة هذه السطور _ لعضوية مجمــع اللغــة العربية بالقدس وعضو بلجنة الدراسات العليا بجامعة الأقصى ومحررٌ لزاوية " أعلام " بجريدة الرّواد وهو يجيد العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانيــة إجادة تامة .

المصادر والمراجع

(١) فخري ، أبو السعود : في الأدب المقارن – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٦ – ص ٧٣ .

(٢) أبو السعود : في الأدب المقارن – ص ٧٤ – ٧٥ .

(٣) سيد ، نوفل : شعر الطبيعة في الأدب العربي ، القاهرة ١٩٤٥ .

(٤) جودت ، الركابي : في الأدب الأندلسي – دار المعارف بمصر – ص ١٢٦ – ١٢٧ .

(٥) من حديث مسجل مع الشاعر سمح بنشره . وأنظر كذلك المقابلة التي أجرتها جريدة " الرواد " مع الشاعر عبد العال القدرة في عددها السابع الصادر بتاريخ ٢٦-٣-٢٠٠٠ .

(٦) للإطلاع على حياة وأعمال الشاعر ويليام وردزورث ؛ أنظر الكتب التالية :

A) Abercrombie, Lascelles: The art of Wordsworth.
B) Bate, Walter Jackson: From Classic to romantic.
C) Batty, Arthur: William Wordsworth.
D) Bradley, A.C: Oxford Lectures.
E) Durrant, Geoffreg: William Wordsworth.
F) Grierson, Herbert J.C.: Milton AND Wordsworth: Poets and Prophets.
G) S.K. Mukher Jee: William Wordsworth. RamaBrothers, NewDelhi 1996.

(٧) عبد العال القدرة : كتاب البحر (ديوان شعر) ؛ اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس غزة ٢٠٠٣ – قصيدة " أزهار الربيع " – ص ١٢٣ .

(8) Wordsworth, William: Collection of Poems - London 1930: "The Daffodils".

(٩) عبد العال القدرة : كتاب البحر – " سحر الطبيعة " – ص ٨٩ .

(١٠) كتاب البحر – " الطبيعة أُمنا " – ص ١٣٥ .

(١١) كتاب البحر – " كرم الطبيعة وجمالها " – ص ٨١ .

(12) Wordsworth, William: Collection of Poems – "Ode to Nature".

(13) IDEM "Ode to Nature".

(١٤) عبد العال ، القدرة : الضياء الخالد – دار الجامعة العربية – بيـــروت ١٩٧٠ . (مجموعة قصائد في رثاء الزعيم الخالد جمال عبد الناصر) .

عبد العال القدرة : جداول السَّراب – دار العودة – بيروت ١٩٧١ .

عبد العال القدرة : أناشيد العاصفة – بيروت ١٩٧٢ .

عبد العال القدرة : فلسطينية – مجموعة منشورة (بلا تاريخ) .

عبد العال القدرة : جنتان عن يمين – مجموعة منشورة (بلا تاريخ).

عبد العال القدرة : شمس العمر – اتحاد الكتـــاب الفلســـطينيين (بـــلا تاريخ).

عبد العال القدرة : حسّون الملائكة – اتحاد الكتاب الفلسطينيين (بـــلا تاريخ) .

عبد العال القدرة : كتاب العبور – طرابلس الغرب ١٩٧٣ .

عبد العال القدرة : إلى النور –اتحاد الكتاب الفلســـطينيين– (القـــدس غزة) ١٩٩٩.

عبد العال القدرة : شفتان – مجموعة منشورة (بلا تاريخ) .

عبد العال القدرة : كتاب البحر – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – (القدس غزة) ٢٠٠٣ .

عبد العال القدرة : انتصار تموز – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس ٢٠٠٦ .

عبد العال القدرة : كتاب الطبيعة – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – (القدس غزة) ٢٠٠٥ .

عبد العال القدرة : بغداد يا قلعة الأُسود – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – (القدس غزة) ٢٠٠٤ .

عبد العال القدرة : غزة ... الانتصار الثالث –اتحاد الكتاب الفلسطينيين– (القدس غزة) ٢٠٠٥ .

عبد العال القدرة : ربّةُ السحر – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – (القدس غزة) ٢٠٠٥ .

عبد العال القدرة : كتاب الكون – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – القدس ٢٠٠٦ .

عبد العال القدرة : نصر لبنان – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – (القدس غزة) ٢٠٠٠.

عبد العال القدرة : أناشيد الاستقلال – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – (القدس غزة) ٢٠٠٠ .

عبد العال القدرة : غزة فوق الشمس – (القدس غزة) – ٢٠٠٢ .

عبد العال القدرة : يا رسول الله – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – ٢٠٠٣.

عبد العال القدرة : آهِ يا أُم قصر – اتحـــاد الكتـــاب الفلســطينيين – ٢٠٠٣.

عبد العال القدرة : الشهيد محمد – اتحاد الكتاب الفلسطينيين – ٢٠٠٣

عبد العال القدرة : جنين جرح في جبين الكون – غــزة – ٢٠٠٢ .

عبد العال القدرة : الشهيد الحي (القدس غزة) – ١٩٩٩ .

عبد العال القدرة : زلزال في رفح – اتحـــاد الكتـــاب الفلســطينيين (القدس غزة) ٢٠٠٤ .

(١٥) كتاب البحر – " دنيا الرعاة " – ص ١٠١ وما بعدها .

(١٦) كتاب البحر – " آفاق المراعي " – ص ٨٧ ، وانظر " كتاب الكـــون " ص ١٢٧ .

(17) Wordsworth, William: Collection of Poems: "The idle Shephesd-boy".

(18) Wordsworth, William: Recollection of "Early Childhood"-London 1922.

(١٩) كتاب البحر – " كرم الطبيعة وجمالها " – ص ٨٣ – ٨٤ .

(20) Wordsworth, William: Collection of Poems: "Expostulation and reply".

(٢١) عبد العال القدرة : أناشيد العاصـــفة – بيـــروت ١٩٧٢ – ص ٥٥ – ٥٨.

(٢٢) عبد العال القدرة : فلسطينية – ص ٥١ وما بعدها .

(23) Wordsworth, William: "LUCI".

(٢٤) كتاب البحر – " أُمة النحل " – ص ١٨ – ١٩ .

(٢٥) كتاب البحر – " يا بحر ١ " – ص ٣٣ – ٣٥ .

(٢٦) كتاب البحر – " يا بحر ٢ " – ص ٤٦ – ٤٧ ، وانظر ديوانه " ربة السحر " ص ٢٦ – ٣٢ .

وانظر كذلك ديوانه " كتاب الطبيعة " ؛ ففيه قصيدتان حول هذا المعنى : الأولى بعنوان " للبحر أسرار الوجود " والثانية تحت عنوان " يا عميد الكون " ؛ التي يخاطب فيها البحر .